ألف حكاية وحكاية (٤)

أسد فى المطعم

وحكايات أخرى
يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
الفجالة - القاهرة

حَديثُ النّبْعِ

التقى ثلاثةٌ مِنَ المسافرين ، في يومٍ شديدِ الحرِّ ، أمامَ نبعٍ باردٍ عذبٍ، فَشَرِبوا حتّى اكتفوا ، ثم هَمُّوا بالانصرافِ ، فشاهدوا بجانبِ النّبعِ لوحةً مكتوبًا عليها العبارةُ الآتية : "كنْ مثلَ هذا النّبعِ."

فوقفوا يتناقشون في معناها ..

قال الأولُ ، وكان تاجرًا نشيطًا : "إنّها نصيحةٌ طيِّبةٌ ، فعلينا أن نسعى ليكون لنا مالٌ كثيرٌ لا ينفدُ ، مثل ماءِ هذا النّبعِ الذي لا ينضبُ."

وقال الثّاني ، وكان شابًّا طيبًا : "بل يجبُ علينا أن نُنقّيَ سرائرَنا، ونُطهّرَ نفوسَنا من البغضاءِ ، حتى تكونَ صافيةً عذبةً مثلَ هذا النّبعِ."

فقال الثّالثُ ، وكان رجلاً صالحًا مُجرّبًا : "إنّ هذا النّبعَ يروي الظمآنَ، ويجدُ الناسُ حوله الراحةَ والظلَّ ، فعلينا أن نكونَ مثلَه كرماءَ ، نبذلُ للنّاسِ الخيْرَ والعوْنَ."





بل فكرنا فى الحياة !!

فى الروايةِ الرائعةِ "موبى ديك" أو "الحوت الأبيض"، التى كتبها الروائىُّ العالمىُّ "هرمان ملفيل"، نقرأ هذهِ القصَّةَ ذاتَ الدلالةِ العميقةِ :

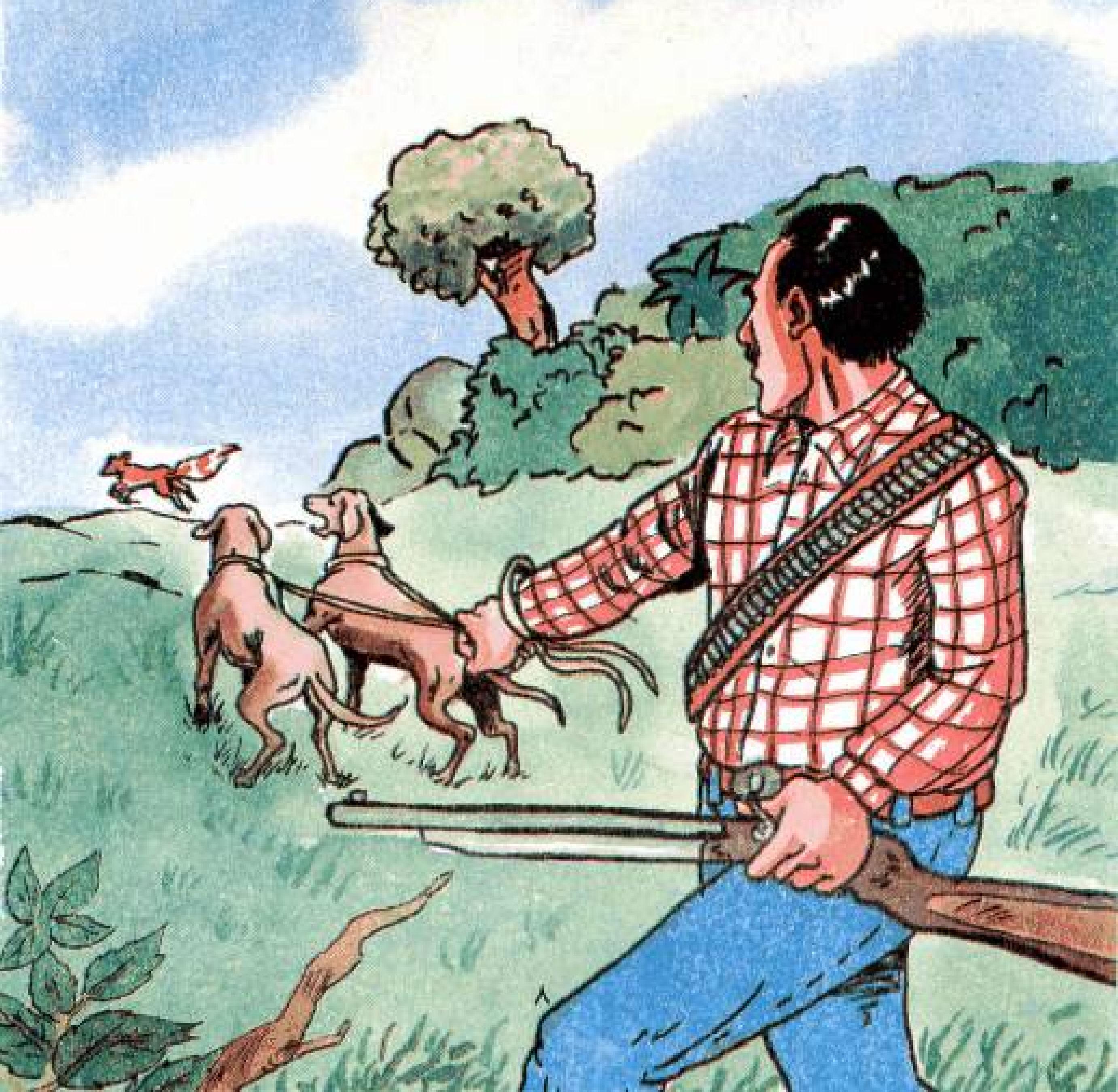
قالَ قبطانُ السفينةِ السابقُ لشريكِهِ : "لقد رأينا، أنا وأنت، لحظاتٍ عديدةً من الخطرِ .. أنت تعلمُ معنى الخَوْفِ من المَوْتِ، وتذكرُ بغَيْرِ شكٍّ عندما تحطَّمَتِ الصوارى الثلاثةُ لسفينةِ صيدِ الحيتانِ التى كُنَّا عليها فى إعصارٍ عند اليابانِ، ألم تفكِّرْ عندئذٍ فى المَوْتِ ؟"

صاحَ الشريكُ والبحارُ السابقُ : "ما شاءَ اللهُ .. اسمعوا وتصوَّروا .. حينَ كنا فى كلِّ لحظةٍ نتصوَّرُ أن السفينةَ ستغرقُ، تقولُ إننا تذكَّرْنا المَوْتَ وقتئذٍ ؟! وقْتَ أن أخذَتِ الصوارى الثلاث المُتحطِّمةُ، تضربُ جوانبَ السفينةِ فى جنونٍ بسببِ عنفِ الريحِ، وتبعثُ أصواتًا كالرعدِ، وقد أخذَتِ الأمواج تتفجَّرُ منقضة علَيْنا من مُقدِّمةِ السفينةِ ومن مُؤخِّرتها، هل فكرنا فى المَوْتِ حينئذٍ؟! كلا .. لم يكن لدينا وقتٌ للتفكيرِ فى المَوْتِ فى لحظاتِ الخطرِ تلك .. الحياةُ هى ما كنا نُفكِّرُ فيه أنا والقبطانُ .. كنا نفكِّرُ فى شىءٍ واحدٍ، هو كيف نُخلِّصُ الجميعَ .. كيف نُصلِحُ الصوارِيَ .. كيف نصلُ إلى أقربِ ميناءٍ .. ذلك هو ما كُنْتُ أفكِّرُ فيهِ .. الحياةُ وليس المَوْتَ!!"



عندما خالفت اليد اللسان

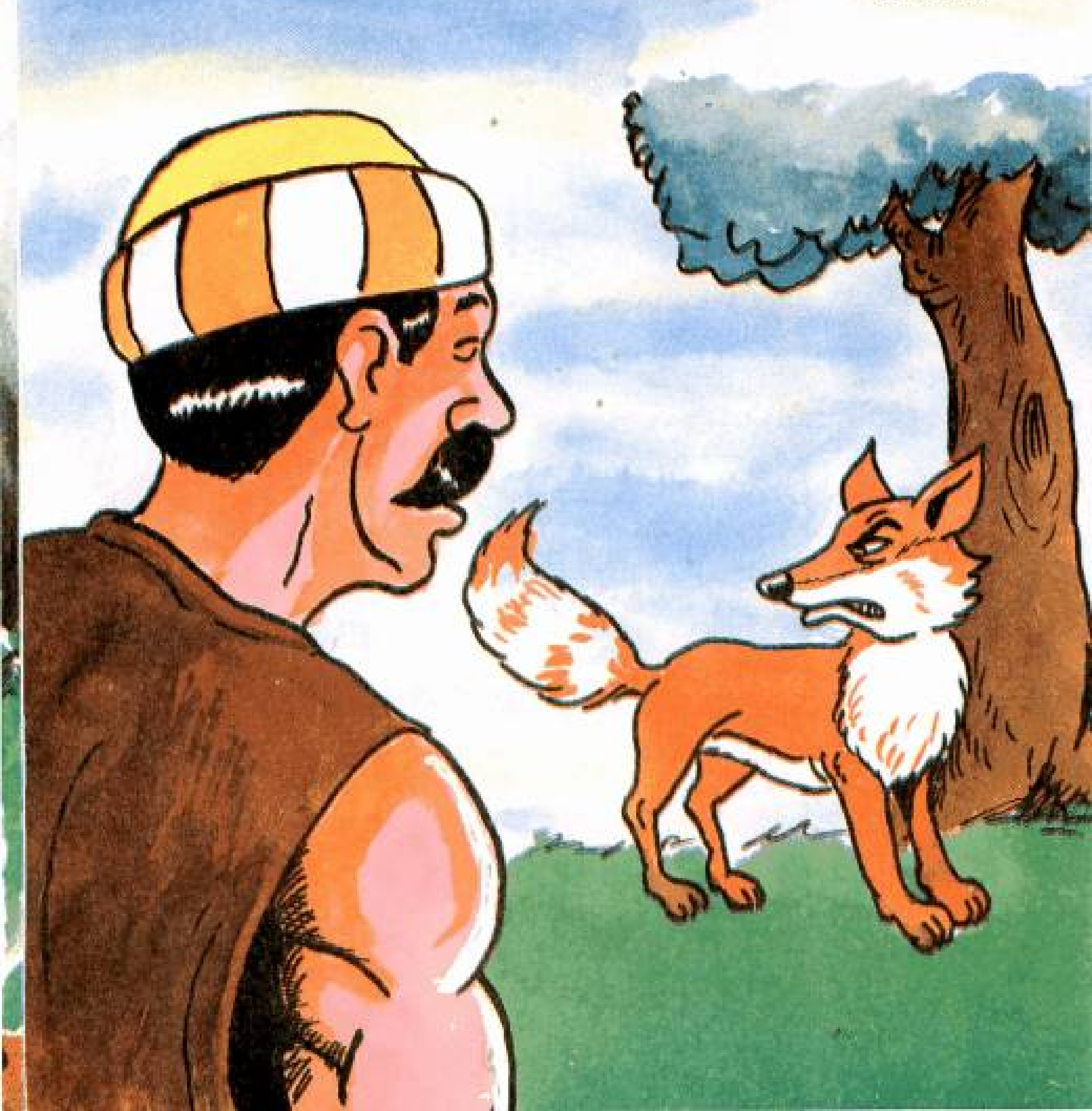
طاردَتْ كلابُ الصيَّادِ أحدَ الثعالبِ ، فانطلقَ الثعلبُ يجرى هاربًا. ووصلَ إلى حطّابٍ يقطعُ الأخشابَ ، فطلبَ منه أن يُرْشِدَهُ إلى مخبأ أمينٍ ، فنصحَهُ الحطابُ أن يختبئَ فى كوخِهِ ، فأسرعَ الثعلبُ واختبأ فى ركنٍ من الكوخِ.



بعدَ دقائقَ وصلَ الصيّادُ مع كلابِهِ ، وسألَ الحطّابَ : "هل رأيْتَ الثعلبَ ؟" فأجابَ الحطّابُ : "لا ... لم أرَهُ ..." وكان في أثناءِ كلامِهِ يُشيرُ بيدِهِ إلى الكوخِ حيث اختبأَ الثعلبُ. لكنَ الصيادَ لم يتنبّهْ إلى إشاراتِ الحطّابِ ، وصدّقَ كلامَهُ ، وأسرعَ يستأنفُ بحثَهُ عن الثعلبِ. أما الثعلبُ ، فكانَ يُراقِبُ كلَّ ما يحدثُ من ثقبٍ في حائطِ الكوخِ.



وما إنِ انصرفَ الصيَّادُ وكلابُهُ حتى خرجَ الثعلبُ مبتعدًا عن الكوخِ دون أن يلتفتَ إلى الحطَّابِ ، فناداهُ الحطَّابُ ووبَّخه قائلاً : "أيها الجاحدُ للجميلِ .. إنك مدينٌ لي بحياتِكَ ، ومع ذلك تتركُني دونَ كلمةِ شكرٍ واحدةٍ ؟!" فأجابَهُ الثعلبُ : "كان عليَّ أن أشكرَكَ لو أنَّ أفعالَكَ كانت جميلةً كأقوالِكَ ، ولو لم تخالفْ يدُكَ ما نطقَ به لسانُكَ !!"



ماذا يملأ الغرفة

أرادَ رجلٌ أن يختبرَ ذكاءَ ابنِهِ ، فأعطاهُ عشرةَ قروشٍ ، وقالَ لهُ :

"أريدُ أن أختبرَ حُسْنَ تصرُّفِكَ فيما تملكُ من المالِ ، فاذهبْ واشترِ بهذا المبلغِ شيئًا يملأ هذهِ الغرفَةَ.

فأخذَالابنُ القروشَ العشرةَ ، وذهبَ إلى السّوقِ ، واشترى شمعةً بقرشٍ، أشعلَها. ولما وضعَها في الغرفةِ ، امتلأتْ نورًا.



وبقيَتْ معه تسعةُ قروشٍ !!

بغير نفاق

كان حاكمُ البلدِ الّذى يعيشُ فيه جحا ، يتصوَّرُ أنّه شاعرٌ ، وكان كلُّ من حَوْلَهُ ينافقونَهُ ، حتى صدّقَ أنه أفضلُ الشعراءِ.

وحدثَ أنْ قال الحاكمُ ذات يومٍ قصيدةً ، فهلَّلَ المنافقون ، وبدءوا يتحدّثون عن مظاهرِ عظمةِ تلك القصيدةِ ، بينما بَقِىَ جحا صامتًا. فسألَهُ الحاكمُ :

"ألم تعجبْكَ ؟ أليسَتْ بليغةً ؟"

قال جحا :

"إنها قطعةُ نثرٍ جيدةٌ جدًّا يامولاى !!"

يقصدُ بذلك أنها ليسَتْ شعرًا على الإطلاقِ !!

فثارَتْ ثائرةُ المنافقينَ ، وغضبَ الحاكمُ ، فأمرَ بحبسِ جحا فى الإسطبلِ.

وبَقِىَ جحا محبوسًا مدةَ شهرٍ ، ثم أطلقوا سراحَهُ.

وبعد أيامٍ كتبَ الحاكمُ قصيدةً أخرى وقرأها ، وكان جحا حاضرًا ، فقامَ مسرعًا وانصرفَ فصاح الحاكمُ :

"إلى أين ياجحا ؟"

فقال جحا :

"إلى الإسطبلِ يامولاى !"



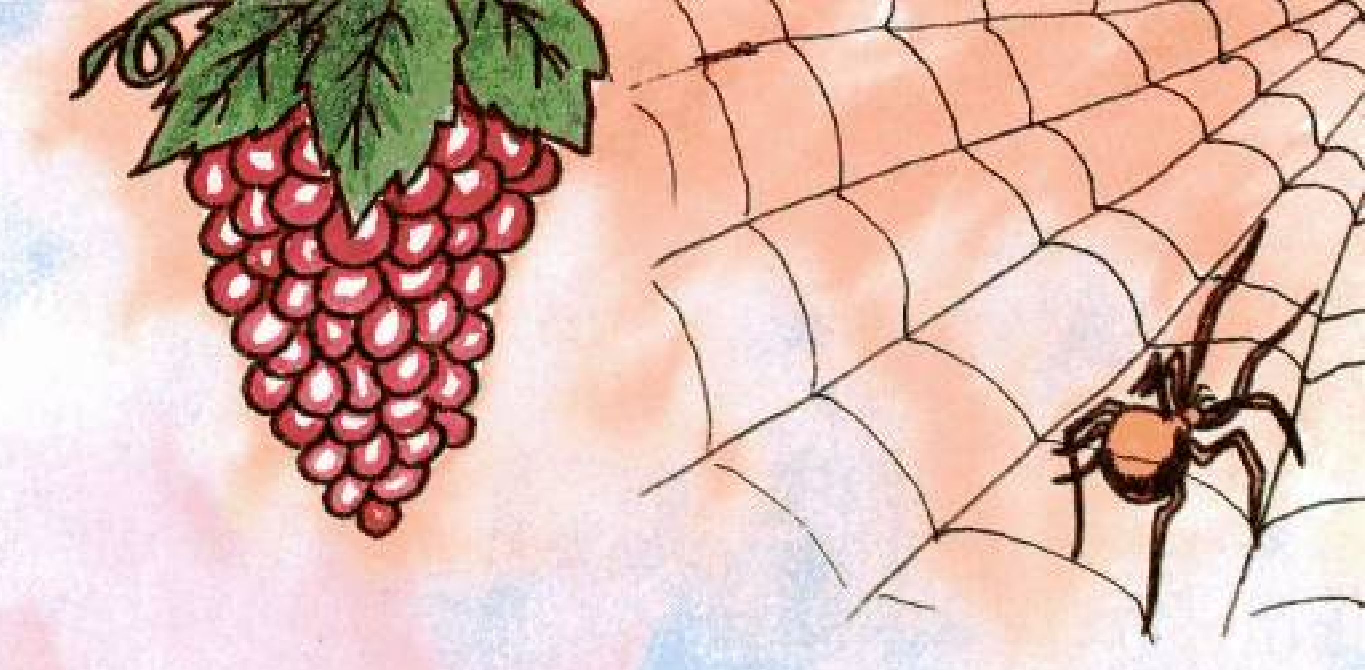
أسد فى المطعم

يُحكَى أن أحدَ الأرانبِ الصغيرةِ دخلَ مطعمًا فاخرًا ، يرافقه أسدٌ هائلُ الحجمِ. وجلسَ الأرنبُ مع الأسدِ أمامَ إحدى الموائدِ. وعندما جاءَ إليهما عاملُ المطعمِ ، قالَ له الأرنبُ : "أريدُ بعضَ الخسِّ والجزرِ الطازجِ." فسألَهُ العاملُ : "وماذا أحضرُ لزميلِكَ ؟" فقال الأرنبُ : "زميلى لن يتناولَ شيئًا".



وظهرَتِ الدهشةُ على وجهِ عاملِ المطعمِ ، وقالَ : "هل تقصدُ أنه غَيْرُ جائعٍ ؟" احتدَّ الأرنبُ وقالَ : "أرجوكَ أن تكفَّ عن الإلحاحِ.. هل تظنُّ أنني كنتُ أرافقُهُ لو كانَ جائعًا ؟!"



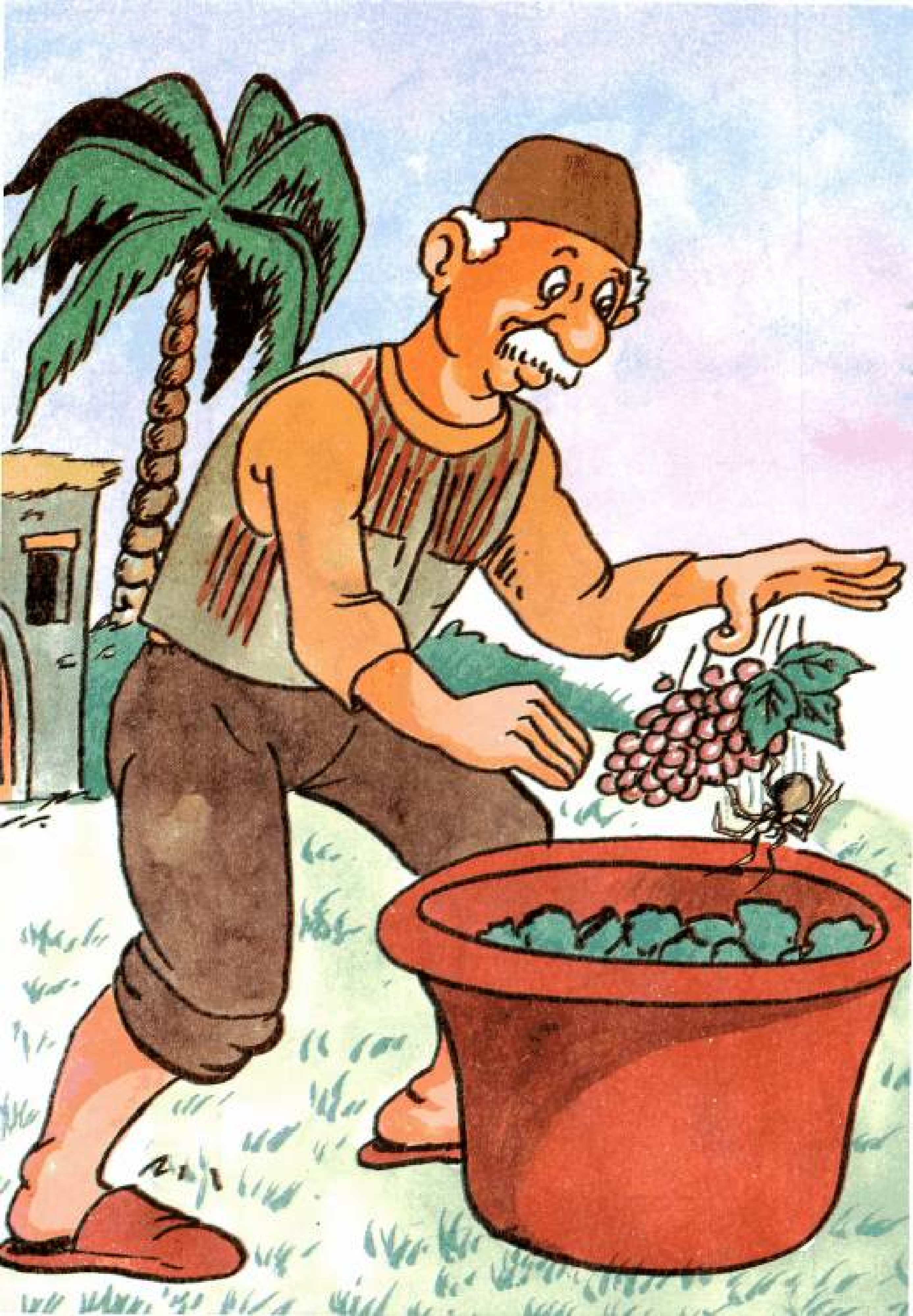


عنقود عنب

لاحظَ عنكبوتٌ أن الذبابَ يتجمّعُ على عنقودِ عنبٍ يتدلَّى من شجرةٍ في إحدى الحدائقِ. وبسرعةٍ تسلَّلَ إلى العنقودِ ، واختبأ بين حبَّاتِ العِنَبِ، ونسجَ بَيْتَهُ في الظلامِ ، ومن هذا المخبأ ، بدأ ينقضُّ على الذبابِ الباحثِ عن الطعامِ ، وقتلَ منه عددًا كبيرًا ، لأن الذبابَ لم يكن يحسُّ بوجودِهِ.

ثم جاءَ وقتُ الحصادِ ، ووصلَ الفلاَّحُ إلى ذلك الحقلِ ، وقطفَ ذلكَ العنقودَ وألقى به في سلَّةٍ كبيرةٍ. فكانَتِ السقطةُ شديدةً ، فسحقَتِ العنكبوتَ المُختفِيَ بين حبَّات العنبِ.

وهكذا فإن العنبَ الذى استدرجَ به العنكبوتُ الذبابَ المخدوعَ إلى الموتِ هو نفسُه الذى كان سببًا فى مَوْتِ العنكبوتِ المُخادِعِ !!



مرض الشاعر

ذات مرةٍ ، أحسَّ الشاعرُ الكبيرُ "حافظ إبراهيم" بألمٍ فى الناحيةِ اليسرى من بطنِهِ ، فاعتقدَ أنه المصرانُ الأعورُ (الزائدة الدودية) ، فذهبَ إلى طبيبٍ من أصدقائِهِ وأخبرَهُ بما يعانِى ، فطمأنه الطبيبُ بأن المصرانَ الأعورَ لا يكونُ إلا فى الجهةِ اليمنى.

وعلى الفَوْرِ قالَ الشاعرُ الكبيرُ : "يا دكتورُ .. قد يكونُ الذى عندى ، أعور شمال !!"

